

التراث اللامادي للمجتمع الغرداوي " طقوسية الماء في المعتقد الموروث أنموذجا "

The intangible heritage of the Ghardaia community "The Rituals of Water in the Inherited Belief as an Example "

رحيمة بيحي، جامعة غرداية (الجزائر)

bichi.rahima@univ-ghardaia.dz

نصيرة نواصر*، جامعة غرداية (الجزائر)

nouacer.nassira@univ-ghardaia.dz

تاريخ الاستلام: 2024 /05/12 تاريخ القبول: 2024 /11/24 تاريخ النشر: 2024 /12/17

ملخص:

الماء مادة حية مقدسة في القرآن الكريم، حبى الله عز وجل بها سائر مخلوقاته وجعلها سرا للحياة الكونية، وقد حظي موضوع الماء في المعتقدات الشعبية بأهمية كبيرة من قبل الباحثين والدارسين ولقي اهتماما واسعا من طرف القراء. وتنبع أهمية هذا الموضوع كونه يدخل ضمن مجال المعتقدات الشعبية المتوارثة بمنطقة غرداية الواقعة بالجنوب الجزائري. وتهدف هذه الورقة البحثية للبحث عن أصناف ومظاهر استعمالات عنصر الماء الحيوي في الطقوس والعادات والتقاليد الغرداوية، كمحاولة لفهم عمق طقوسية هذا العنصر في أعراف وتقاليد مجتمع البحث (المجتمع الغرداوي)، وقد خلصت الأخيرة بعد البحث الجاد في الروايات الشفوية والمصادر الأصلية والحكم والأمثال المحلية أن الماء عنصر أساسي في حياة ساكني المنطقة، وإن كانت هذه الطقوس قد دخلت أحيانا حيز الشعوذة، إلا أنها عبرت بصراحة عن واقع عادات هذا المجتمع وتراث أجداده الذي مثل فيه الماء جوهر عاداتهم واعتقاداتهم. كلمات مفتاحية: الماء؛ المعتقد الموروث؛ منطقة غرداية؛ الطقوس؛ العادات والتقاليد.

Abstract:

Water is a living and sacred substance in the Holy Quran, and God has blessed all His creatures with it and made it a secret of universal life.

The subject of water has been of great importance in popular beliefs, attracting wide interest from researchers and scholars, as well as readers. The significance of this subject lies in its inclusion in the field of inherited popular beliefs in Ghardaia region which situated in the in southern of Algeria.

This research paper aims to explore the types and aspects of the use of the vital element of water in Ghardaia's rituals, customs, and traditions, as an attempt to understand the profound ritualistic nature of this element in the customs and traditions of the Ghardaia community. The research concluded, after serious investigation of oral narratives, authentic sources, proverbs, and local wisdom, that water is a fundamental element in the lives of the region's inhabitants. Although these rituals have sometimes bordered on superstition, they clearly express the reality of this community's customs and the heritage of their ancestors, in which water represented the essence of their customs and beliefs.

Keywords: Water; inherited belief; Ghardaia region; rituals; customs and traditions.

● مقدمة:

يكتسي الماء مكانة مقدسة في الفكر الديني الإسلامي استنادا لقوله عز وجل في محكم تنزيله: وجعلنا من الماء كل شئ حي"، الأمر الذي جعله يحتل أهمية بالغة عند الإنسانية جمعاء، و في الوسط الشعبي الغرداوي بصفة أخص، والذي غذى فيه الماء عنصرا لا غنى عنه في الموروث الشعبي والثقافي الأصيل، وتنبع أهميته من طقوسيته ومكانته في الحكايات الشعبية والأمثال والحكم والعادات والتقاليد التي كان يعتمد عليها مجتمع البحث (المجتمع الغرداوي) في القديم قصد التبرك بالماء وممارسة تقاليد الأجداد وفق استعمالات متعددة له ولا يزال ذلك لحد اليوم.

ومن هنا جاءت هذه الورقة البحثية تحت مسمى " التراث اللامادي للمجتمع الغرداوي " طقوسية الماء في المعتقد الموروث أنموذجا" لتكشف الغطاء عن أوجه استعمالات الماء المختلفة في عادات المجتمع الغرداوي، ولتجلية هذا الموضوع وأهميته فقد تمحورت إشكاليته حول أهمية وأوجه استعمالات الماء في المعتقدات الشعبية الغرداوية التي تعبر عن التراث المحلي العريق ، وتتفرع عن هذه الإشكالية بعض التساؤلات الفرعية التي تتمحور حول المواضيع التالية:

ما أهمية الماء في المعتقد الموروث؟ و ما أصناف استعمالاته في التراث الشعبي الغرداوي؟ و كيف صورت الحكم والأمثال الشعبية في منطقة غرداية عنصر الماء؟

وتهدف أطر هذه الورقة البحثية لمحاولة رصد كل ماله علاقة بعادات وتقاليده سكان منطقة غرداية المتعلقة بعنصر الماء، وذلك من خلال ما توفر في مادة البحث من مصادر ومراجع وروايات شفوية، بالاستناد على منهجية البحث التاريخي الوصفي التحليلي بما يتماشى مع طبيعة الموضوع الذي يتطلب نوعا ما البحث عن مكان استعمالات الماء في الموروث الشعبي وفق منهجية الجمع ثم الوصف ثم الشرح والتحليل

1. التعريف بمنطقة غرداية:

1.1. الموقع الجغرافي:

تتربع المنطقة على هضبة صخرية كلسية تقع شمال صحراء الجزائر، ويطلق عليها في التعبير العام "الشبكة" لقساوتها وصعوبة مناخها وتضاريسها.

وهي تبعد عن الجزائر العاصمة بحوالي (630 كلم)، وتقع ما بين خطي طول (30.2°) إلى (5°) شرقا، وما بين دائرتي عرض (33°) و(15.33°) شمالا، وتبلغ مساحتها 2750000 هكتار¹ يحدها من الشمال والغرب واحة الأغواط وصحراء "الأربعاء"، ومن الشمال الشرقي صحراء أولاد نايل ومنطقة الجلفة، ومن الشرق

¹-Documents Algériens, Série Monographies, **Le Mzab**, 16-30 Aout 1955, N .P.

واحتي الحجرية والعلية، ومن الجنوب الشرقي واحات وارجلان، ومن الجنوب الغربي متليلي¹، وهي ترتفع عن مستوى سطح البحر ب(530م)².

2.1. أصل التسمية:

يطلق على المنطقة ثلاثة أسماء: بادية بني مصعب، أرض الشبكة، ووادي ميزاب. وقد تكلم الشيخ علي يحي معمر في كتابه عن التسمية الأصلية لهذه الأرض فقال: إن انتسابها لبني مصعب (بادية بني مصعب) فلكونها أول من عمر هذه المنطقة، وأما تسميتها بأرض الشبكة فلأنه كان يخترقها ثلاث أودية، وتعرضها سلاسل ممتدة من الجبال، فشابهت في صورتها هذه الشبكة، أما كلمة ميزاب فقد تكون اسما لأحد الأودية الثلاث، كما يعتقد أكثر الناس³.

3.1. التجمعات العمرانية الكبرى التي شيدت على ضفاف أودية غرداية:

تأسست أكبر التجمعات العمرانية في منطقة غرداية على ضفاف الأودية، نذكر منها أولا القصور التي تأسست على ضفاف وادي ميزاب.

1.3.1. القصور المشيدة على ضفاف وادي ميزاب:

1.1.3.1. العطف: تأسست العطف سنة (402هـ/1012م)، وتعرف عند سكانها أيضا

بتاجينيت⁴، أما أصل تسمية العطف فيقال أنه مشتق من انعطاف البلدة إلى جانب وادي ميزاب بالنسبة للسائر باتجاه القبلة، حيث ينعطف جنوبا فتتراءى له فجأة، وأصل الكلمة في البداية العطفاء، وقد تغيرت مع مرور الزمن إلى أن صارت تعرف بالعطف⁵، أما مؤسسها فهو: "خليفة بن أبغور"⁶، وقد بلغ عدد

¹ - صالح بن عمر اسماوي، العزابة ودورهم في المجتمع الإباضي بميزاب، المطبعة العربية، غرداية، (1426هـ/2005م)، ص591.

² - أحمد توفيق المدني، كتاب الجزائر، ط2، دار المعارف، القاهرة، (1382هـ/1963م)، ص211.

³ - يحي معمر، الإباضية في موكب التاريخ، (4 حلقات)، ج2، المطبعة العربية غرداية، (1417هـ/1996م)، الحلقة الرابعة، ص431.

⁴ - تاجينيت: كلمة أمازيغية وتعني الإناء المصنوع من ألياف عرجون النخل الملفوف بسعفة، وتطلى هذه الألوان بالقطران من الداخل ليتماسك يُنظر: صالح بن عمر اسماوي، العزابة ودورهم في المجتمع الإباضي بميزاب، (3 حلقات)، المطبعة العربية، غرداية، الجزائر، (11426هـ/2005م)، الحلقة الثانية، ص612.

سكانها في القرن (13هـ/19م) نحو ألفي نسمة (2000) نسمة¹، ولديها ثلاثة مساجد، وقد أحيطت بسور فيه بابان أحدهما في شرقها والثاني في غربها².

2.1.3.1. بونورة: تأسست سنة (436هـ/1044م)، تقع على الضفة اليسرى لوادي ميزاب، تتشكل من قريتين متصلتين عمرتا في زمن واحد، تظهر للناظر جاثمة على سفح ربوة³. فزالت القرية الأولى وبقيت الثانية⁴، و تعد بونورة أصغر قصور ميزاب، كما أنها سميت على اسم امرأة كانت تبيع النورة، وللقصر ثلاثة أبواب هي: باب السور، باب بن يسقن، وباب مليكة⁵.

3.1.3.1. غرداية: ترتفع على ربوة بارتفاع (560م) وهي في الجانب الغربي لوادي ميزاب⁶. وقد تأسست سنة (474هـ/1081م)⁷ من طرف سليمان بن يحيى وسي بوجمعة وبابا عيسى العلواني، وسميت بهذا الاسم نسبة لغار في أعلى الربوة، والتسمية كلمة مركبة من غار وداية نسبة إلى كهف واسم امرأة نزلت به⁸.

تعد غرداية عاصمة ميزاب التاريخية، كان بها عشرة أبواب هي: "باب البراشية، باب سالم أو عيسى، باب الريحي، باب الجديد، باب أولاد نايل، باب المارة، باب الخراجة، باب الحواشة" وستة مساجد⁹.

⁵- محمد بن يوسف بن عيسى اطفيش، الرسالة الشافية، د.م.ط، (1326هـ/1908م)، ص 37.

⁶- خليفة بن أبغور: أحد تلاميذ الإمام محمد بن بكر أبو عبد الله أو أحد أتباعه من بني مصعب وقد كان هذا الأخير يزور منطقة وادي ميزاب في أواخر القرن 4هـ وبداية القرن 5هـ قادما إليها من وادي ريغ مبشرا بالمذهب الإباضي. يُنظر صالح بن عمر اسماوي، المرجع السابق، ص 612-613.

¹ - Daumas (Le Lieutenant colonel), **Sahara Algerien**, Ed, Masson et Cie, Langlois et Leclercq, Paris, 1845. p64.

² - Duveyrier Henri, **Coup d'œil sur le pays des Beni Mzab et sur celui des Chaamba occidentaux**, bull, soc, Géographie de Paris, 1859, p11.

³- محمد بن يوسف بن عيسى اطفيش، المصدر السابق، ص 35.

⁴- صالح بن عمر اسماوي، المرجع السابق، ص 613.

⁵ - Daumas, **op.cit**, p63.

⁶ - صالح بن عمر اسماوي، المرجع السابق، ص 616.

⁷ - Coyne (Capitaine), **Le Mzab**, R.A, T.XXIII, Alger, Jourdan, 1879, p183.

⁸ - محمد بن يوسف بن عيسى اطفيش، المصدر السابق، ص 34.

⁹ - Daumas, **op.cit**, p59.

4.1.3.1. بن يسقن: تأسست سنة (776هـ/1374م)¹، وهي امتداد لقرية قديمة تسمى تافلال²، تقع بن يسقن في أعلى مرتفع على يمين "وادي ميزاب" الذي يمر عبر شمالها الشرقي، تحيط بها الجبال من الجهة الشرقية والجنوبية، وهي أقل مساحة من غرداية، وهي محاطة بسور به ثلاثة أبواب هي: باب انتيسة، باب الغربي، وباب القبلي³.

5.1.3.1. مليكة: تقع على الجهة اليسرى لوادي ميزاب، شيدت على جبل يدعى سيدي عيسى، كما تسمى آت امليشت، وقد سميت باسم امرأة تدعى مليكة⁴، حولها سور به ثلاثة أبواب (باب العرقوب، باب الأطراش، باب الحميدو)، ويوجد بها ثلاثة مساجد،⁵ أما تاريخ نشأتها فيعود إلى سنة (750هـ/1349م)⁶.

2.3.1. بقية القصور:

1.2.3.1. القرارة: بنيت بجانب وادي زقير، الذي يمر من غربها تحيط بها مرتفعات من شرقها وشمالها، تم تأسيسها سنة (1040هـ/1630م)⁷، وسميت بالقرارة لإشرافها على حوض كبير من أحواض وادي زقير تتجمع فيه المياه وتستقر لانخفاضه⁸. كان حولها سور به ثلاثة أبواب: باب الغربي، باب الشرقي وباب الواد، وهي أكبر مساحة من غرداية⁹.

2.2.3.1. بريان: تأسست سنة (1060هـ/1650م)¹⁰، تقع على جبل منقطع تحوطه مرتفعات منيعة من جهته الشرقية والغربية والجنوبية، تخترقها أربعة أودية هي: "الوح"، "السودان"، "الزرقى" و"المداغ" تلتقي في "وادي البير" جنوبي البلدة، وتصب في "وادي النساء" من غربه، وهي أهم الأودية حملا وسقيا¹¹.

¹- Document , Algériens, série Monographies, Le Mzab, 16-30, Aout 1955, N.P.

²- محمد بن يوسف بن عيسى اطفيش، المصدر السابق، ص 32.

³- Daumas , op.cit, pp63-64.

⁴- محمد بن يوسف بن عيسى اطفيش، المصدر السابق ، ص ص 34-35.

⁵- Daumas, op.cit, p62.

⁶- صالح بن عمر اسماوي، المرجع السابق ، ص 614.

⁷- إسماعيل العربي، الصحراء الكبرى وشواطئها، م. و. ك. ، الجزائر، (1393 هـ/1983م) ، ص 156.

⁸- صالح بن عمر اسماوي، المرجع السابق ، ص ص 618-619.

⁹- Daumas, op.cit, p64.

¹⁰- إسماعيل العربي، المرجع السابق، ص 156.

¹¹- صالح بن عمر اسماوي، المرجع السابق، ص 618.

3.2.3.1. متليلي: شُيد القصر القديم على وادي متليلي سنة (550هـ/1156م)، والشاهد على ذلك هو تاريخ عمارة مسجده العتيق¹، ومدينة متليلي ذات طابع هندسي ومعماري متأثر بالقصور المرابطية، وُبنيت على سهل تعلوه ذروة جبلية بها المسجد العتيق ولواحقه وبعض دور السكان².

4.1. الأودية: سميت بالأودية الكاذبة نظرا لعدم استقرارها وقلة مياهها، إلا أنه كان لها دور هام في الحفاظ على مخزونات المياه السطحية، ومن أهمها:

1.4.1. وادي زقير: تنحدر من الضايات ويسقي واحة القرارة.

2.4.1. وادي النساء: له رافدان هاما هما وادي بالوح و وادي السودان اللذان يسقيان واحة بريان.

3.4.1. وادي ميزاب: يتكون من روافد هي: وادي العذيرة و وادي الأبيض، و وادي توزوز، ويسقي واحة غرداية و واحة مليكة، كما تنسكب فيه من الغرب مياه وادي انتيسة الذي يسقي واحة بن يزقن، ومن الشرق مياه وادي ازويل الذي يسقي بدوره جزءا من واحة بونورة، ثم يتجه إلى العطف فزلفانة، وينتهي مصبه في سبخة الهيدشة على بعد ستة عشر كيلومتريين من نقوسة شمال ورقلة،³ يمتد حوضه على مسافة ثمانية كيلومتر طولا و كيلومتريين عرضا⁴.

4.4.1. وادي متليلي: ينحدر من الضايات العليا للشبكة، ويسقي واحة متليلي، ويصب في سبخة ورقلة.

5.4.1. وادي الأبيض: ينحدر أيضا من الضايات العليا، التي هي حدود الشبكة، ويصب في وادي ميزاب.

6.4.1. وادي مسك: يمتد على طول الشبكة، وتنظم به أودية كثيرة مثل وادي سبسب، وله روافد كثيرة أهمها وادي محيقن، كما تتفرع عنه أودية المنصورة والجرجير وغيرها⁵.

كما تتمتع المنطقة بالمياه الجوفية، لكنها ليست قريبة من السطح، فالعمق العام يتراوح بين 8 أمتار و 55 مترا، غير أنه توجد في بني يسقن بئر بعمق 93 مترا⁶.

¹ - أرشيفات الجامع العتيق بمتليلي، وثيقة تاريخ المسجد وأئمنته ومعلميه، ص2.

² - محمد عبد الحليم بيثي، تطور الثورة الجزائرية في ناحية غرداية، دار زمورة للطبع والتوزيع، الجزائر، 2013، ص ص30-31.

³ - يوسف بن بكير الحاج سعيد، تاريخ بني ميزاب ونضالهم من أجل الحق في التباين، المطبعة العربية غرداية، (1413هـ / 1992م)، ص109.

⁴ - صالح بن عمر اسماوي، المرجع السابق، ص593.

⁵ - محمد عبد الحليم بيثي، المرجع السابق، ص12.

2. الماء في الموروث الشعبي:

1.2. أهمية الماء في الممارسات اليومية: يحظى عنصر الماء كونه أساس الحياة بأهمية كبيرة وفوائد جمة جعلته يكتسي طابعا خاصا في المعتقدات الشعبية الموروثة، ويتضح ذلك لا محالة من قدسيته في القرآن الكريم استنادا لقول الله عز وجل في محكم تنزيله: (وجعلنا من الماء كل شئ حي)، حيث بين الشرع الحكيم ضرورة وجود الماء واشتراطه كأهم عناصر الحياة لجميع الكائنات، وبناء على ذلك فقد قدس سكان منطقة غرداية الماء ودعوا لحسن استغلاله في شتى ممارساتهم اليومية كالشرب والوضوء والغسيل والتطهير، ومدحوه في أمثالهم وحكمهم، وكمثال لذلك لا الحصر المثل الشائع لدى ساكني غرداية القائل: "لي سبقك بالسقا أسبقو بالنقا"، ومعنى هذا المثل أن عنصر الماء لا يقتصر على الشرب لاستمرار الحياة فقط بل يتعداه ذلك لاستعماله في متطلبات الحياة الأخرى وخاصة عنصر النظافة المنزلية والجسدية والشخصية وغيرها، وهذا الشكل فقد مثل الماء ضرورة لا بد منها في المعتقد الشعبي الغرداوي المورث من حيث الاستعمال والمكانة والأهمية حتى غذى محل صراع بين السكان لضرورة ومطلب توفره في الممارسات اليومية.

وتجمع الرواية الشعبية عددا من صلاحيات الماء في مختلف شؤون الناس من غرس ورواح عروس وغيرها كما يأتي في:

باسم الله عليك يا الماء يال ومّان

باسم الله عليك يا الماء ياغراس الغروس

يا عتاق النفوس يا رواح العروس

يا الخارج من جنة الفردوس

إلا متنا نتغسلو بيك وليا حيننا نتقوتو بيك

احنا بالله وببك

ليا ما بغيتنا حنا بغيناك¹

⁶- صالح بن عمر اسماوي، المرجع السابق، ص 593.

¹- عبد القادر خليفي، الماء وطقوسياته في منطقة القصور، في مجلة إنسانيات، العدد 19-20، 2003،

2.2 حمام زلفانة مقصد للاستشفاء (التبرك بمياه الينابيع الحارة):

انتشرت الكثير من الحمامات المائية بمنطقة غرداية وخاصة في مدينة زلفانة¹، التي اشتهرت بكثرة الينابيع المائية الحارة، و أخذ الناس عبر ربوع الوطن يترددون إليها قصد التداوي والعلاج لتمييزها بخاصية الاستشفاء، وخاصة إذا تعلق الأمر بعلاج أمراض الجلد والعظام وبعض الأمراض الداخلية من جانب، وعلاج بعض الأمراض النفسية لتوفرها على جو الاسترخاء والاستجمام في الجانب الآخر، الأمر الذي أكسبها أهمية كبيرة وإقبالا واسعا في ظل اعتقاد الناس أن طبيعة هذه المياه الحارة المتفجرة من آبار الأرض دون خضوعها لتقنيات التسخين دليل على بركتها و منفعتها للعلاج الجسدي، ونشير في هذا الصدد أن الحمامات الجماعية في نظرهم هي الأنفع، لذلك يكون الإقبال عليها بكثرة مقارنة بالحمامات الأخرى لأنهم يرون أنها طبيعية وأكثر إفادة من المرشحات والحمامات الفردية، لذلك أخذت هذه الحمامات الجماعية مسمى حمام البركة اعتقادا منهم أن مائها مبارك والتداوي فيها مفيد، ومع مرور الزمن غدت هذه الحمامات المائية الحارة مقصدا للسياح وأصبحت بها مدينة زلفانة وجهة لمن يطلب العلاج والاسترخاء.

وعلى غرار ذكر حمام البركة والاستحمام فيه للعلاج والتشافي، يجدر بنا التطرق لأشهر الحمامات المعدنية والذي يقع ببلدية زلفانة، التي اشتهرت مؤخرا بتعداد حماماتها نظرا للفائدة المرجوة للمريض جراء ترده عليها، فما هي الدلالة الرمزية لهذا المنبع وإلى أي تاريخ تعود جذوره الأولى؟

أنشئ حمام الصالحين سنة 1948م، والذي يتراوح عمقه إلى 1167مترا، وتصل قدرته على الصب إلى 30 ل/ثا، ويعالج عدة أمراض أهمها: الأمراض العصبية والتنفسية وكذا التخفيف من آلام الروماتيزم وأمراض الجلد وأمراض النساء، أما أهم معدن مكون لمائه فهو كلورور سوديك، أما بقية المعادن فتتراوح نسبها

¹ - زلفانة: هي إحدى مدن ولاية غرداية، وصنفت بلدية سنة 1985م، وفي سنة 1991 غدت دائرة. تقع في الجنوب الشرقي للجزائر يحدها شمالا بلدية القرارة وجنوبا بلدية متليلي وشرقا ولاية ورقلة وغربا بلدية العطف، كانت قبل عمرائها نقطة عبور باعتبارها المسلك الوحيد والملائم الرابط ما بين الجنوب الشرقي والجنوب الغربي والوسط فقد كانت ملتقى جميع القوافل ذات الاتجاهات المختلفة. ينظر: مصطفى إبراهيم رمضان، خواطر حول الوضعية الاجتماعية والعلاقات الإنسانية في غارداية، د.د.د.ب.د.ت، ص10. حماني أحمد التجاني بن المزوي، ومضات من تاريخ القرارة (الثقافي، السياسي، الثوري خلال الفترة ما بين 1900م-1962م)، ط1، دار صبيحي للطباعة والنشر، متليلي، غارداية، الجزائر، 1434هـ/2013م، ص ص 20-21.

كالتالي: طاقة الهيدروجين 6.5، والحرارة 41.5 درجة، والكالسيوم 163، والمغنيزيوم 61، والصوديوم 518، والبوتاسيوم 22، والكلورور 497، والسلفات 518، والبيكاربونات 165، والنيترات 1.15¹ ويتردد على هذا الحمام ، والحمامات المنشأة حديثا في مدينة زلفانة الكثير من الناس من جميع ولايات الوطن، حيث يقيمون لعدة أيام قصد العلاج والاستشفاء من عديد الأمراض السالفة، ولا يكاد يمر يوم من أيام الأسبوع لا تجدها مكتظة بفعل المرضى والزائرين، حتى أنه لا يوجد يوم راحة، فكل الأيام متاحة للاستحمام والعلاج.

3.2 استعمال الماء في التشافي من بعض الأمراض الجسدية:

1.3.2 علاج الشقيقة: الشقيقة هو ألم يصيب جهة واحدة من الرأس أي نصف الرأس فقط، ويتم علاجه بالطريقة التالية وهي تسخين حجرة وتكون من حجارة الصحراء، أي ما نسميها بالحجرة الصماء، ويوضع الماء في المهراس (إناء نحاسي) ويغطى الرأس ثم ترمى الحجرة الساخنة في الماء ، فيتصاعد منها بخار يستنشقه المريض².

2.3.2 علاج التسمم وأمراض البطن: و يتم علاجه عن طريق تسخين ملعقة -من نوع الفولاذ المقاوم للصدأ- جيدا ثم نقوم بوضعها في كأس مملوء بالماء ويكون هذا الماء مرقى ، حيث نقرأ عليه سورة الفاتحة سبع مرات ثم يتم شربه على الريق صباحا أي على بطن فارغ³.

3.3.2 علاج الشلل: عند تساقط المطر، يتم جمع مائه الذي يسمى في المنطقة "ماء الغدير"، ثم رقيته بقراءة سورة الفاتحة سبع مرات عليه، ثم تسخينه وإضافة قطرات من الخل عليه، بعدها يغطس فيه المريض ، ويتم تكرار العملية مدة أسبوع⁴.

4.3.2 علاج (المفزوع) الخلعة: لما يسمع الانسان خبرا محزنا ، أو يفزع من شيء فقد كان يتم علاجه بالكي بعود حطب من نوع العمري، ثم يُخلط الماء مع أعشاب صحراوية مطحونة يطلق عليها (المرارة) ، ويرش

¹ -الدليل السياحي: زلفانة مدينة الحمامات المعدنية، 2007.

² -المعالجة حورية، يوم 1 نوفمبر 2023، غرداية على الساعة 10 صباحا.

³ - نفسه.

⁴ - نفسه

عل وجه المريض وبطنه اعتقادا أن ذلك يُفزع عروق الجسم ويزيل الخلعة الباطنية ، ثم يشرب الباقي ، على أن يتمم الوصفة لسبعة أيام على الريق¹.

4.2 استعمالات مصطلح الماء في الأمثلة الشعبية للمنطقة:

من بين الأمثال المتداولة في المنطقة، "طعام بلا ماء من قلة الفهامة"، وهذا هو الأصل، فكيف يعقل وضع طعام لا يصحبه ماء، حتى أن الأكل تزامن مع الشرب، نظرا لتزاوجهما وأهميتهما في حياة الفرد، مثلما جاء في كتابنا العزيز، في ستة مواضع: مثل قوله تعالى: {وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا} إنه لا يحب المسرفين²، وقوله: {يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا}، وقوله: {كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ}، وقوله: {كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ}، وقوله: {كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ}، وكذا عند التطير من زوجة الولد وعدم الاطمئنان لها، فهم يقولون: "الماء والنار ولا مرت (زوجة) الولد في الدار": ويضرب هذا المثل عند نساء المنطقة للدلالة على راحة بال الحماة حيث تفضل الحماة (أم الزوج) الاكتفاء بالمعيشة على شرب الماء والدفع بالنار صحبة الهناء بدلا من وجود كنة (مرت ابن) غير متفقة مع حماها مما يثير المشاكل بين الطرفين.

أما دعوات الخير التي يدعي بها أجدادنا، فهي: "الله يجعلك كي الماء تخرج منك كل نعمة". وهي من أبرز دعوات الخير التي يتفوه بها ساكني المنطقة وتدل في الغالب على طرح البركة والرزق للشخص المدعو له ويقصد بها دعوة الله أن يكون هذا الشخص صالحا لفعل الخير الغير محدود وبما أن الله سبحانه وتعالى جعل من الماء كل شئ حي فإن سؤال الله بهذه الدعوة لشخص ما يدل على سمو أخلاقه وعطائه اللامحدود.

¹-المخبرة لخنين خضرة (70 سنة)، مختصة في التداوي بالأعشاب، على الساعة 10 ليلا يوم 5 سبتمبر 2023، ثنية المخزن، غرداية.

² - سورة الأعراف، الآية 31.

³ - سورة البقرة، الآية 187.

⁴ - سورة البقرة، الآية 60.

⁵ - سورة الطور، الآية 19.

⁶ - سورة الحاقة، الآية 24.

⁷ - سورة النبأ، الآية 43.

3. طقوس الاستمطار في منطقة غرداية (عروس المطر "قنجة"):

هذه العادة تستعمل في اعتقاد أهل المنطقة كطقس من طقوس الاستمطار عن طريق عروس المطر التي تدعى "قنجة"، وهي عبارة عن ملعقة خشبية أو ملعقة من نوع الفولاذ تستعمل في تحريك القدر في المناسبات الكبيرة، وتكون كبيرة نوعا ما تناسبها مع كبر إناء الطهي، تُزينها نساء المنطقة على شكل عروس من زينة وحلي ولباس أي "الملحفة" (اللباس التقليدي النسائي في المنطقة).

حيث يتم اختيار المسنين والأطفال الصغار ذكورا وإناثا على حدّ سواء، لأنهم لم يرتكبوا بعد الذنوب والمعاصي، فهم رمز البراءة ولم يوسخوا بعد أيديهم بالردائل التي تُغضب الله، فعندما يراهم يغيثهم بالمطر لأنهم لا يتحملون العطش. فيجتمع الصبيان في الصباح الباكر ويبدأون مسيرتهم الشعبية، يتقدمهم حامل المغرفة، والكل يردد أغنياتهم الفولكلورية الشعبية: "قنجة يا قنجة يا طالب الرجاء، يا ربي أعطينا النو (المطر)" طلبا للاستسقاء، وأثناء الجولة يحملون قفة من السعف المسماة "اعدل" ويجمعون فيها لوازم طهي الأكلة الشعبية التي تسمى "الدشيشة"¹ من البيوت: طماطم مجففة وشحم ولحم ودشيشة وهرماس²، وفول وحمص وعدس وتوابل وفلفل أحمر يابس وسمن عربي، والحكمة من جمع الحبوب في القفة مغزى ثان هو أن الله عندما يراها يرزقهم بالمطر حسب اعتقادهم، لأن الحبوب الجافة دلالة على القحط والجفاف، وبمجرد وضعها في الماء يتضاعف حجمها، مما يعطينا تشبيها بالأرض القاحلة التي تعود إلى عطاها بعد ارتوائها بمياه الأمطار.

وعند قصدهم لأي بيت من بيوت المنطقة، تقوم ربة البيت برش الصبيان والملعقة بالماء حتى يتبللوا تفاؤلا بزول المطر، وبعد إنهاء الجولة يتوجهون لمكان تجتمع فيه النساء لطهي "أكلة الدشيشة"³،

¹ - الدشيشة: لغةً: هي طعام رقيق من قمح مدقوق، دَشَشَ الحبَّ: جرشه؛ كسَّرَه أجزاء صغيرة، دَشِشَ: حَبُّ البرِّ يُطَحْنُ طَحْنًا غَلِيظًا. أما اصطلاحاً فإن الدشيشة وهي أكلة معروفة في وتقليدية في المنطقة. ويتم إعدادها من الشعير (زنبو) أو القمح بعد أن يتم طحنه وتحويله إلى حبات خشنة، والدشيشة وهي شبيهة بالفريك، ولكنها أكبر حجما منه وتحضر بمرق أحمر. ينظر: معجم المعاني الجامع – عربي عربي، <https://www.almaany.com/ar/dict/ar-ar>، شوهديتاريخ 2023/12/1، الساعة: 20:30.

² - الهرماس: مصطلح يطلق على المشمش المجفف الذي نضج بشكل جيد، تقوم النساء بتجفيفه تحت أشعة الشمس في فصل الصيف ليتسنى لهم استعماله في فصل الشتاء (ويحفظ كذخيرة في بيت المونة) ويحظى بمكانة عالية خاصة في أكلة المردود ، حيث يعطي مذاقه نكهة خاصة في الطبق الذي يحتويه.

³ - أكلة الدشيشة: من الأطباق القديمة التي توارثها أهالي المنطقة عن الأجداد، ولا يزال يحافظ على صدارته في الأعراس والمناسبات السعيدة من نفاس وختان وغيرها، حيث تخصص هذه الأكلة التقليدية التي تندرج ضمن عادات أهل المنطقة للاحتفال بأول أيام العرس، بدعوة الأقارب والأصدقاء المقربين إلى الغذاء، كما يستلزم احتساء الشاي بعدها، كما يحوز الطبق على شعبية كبيرة تزداد يوما بعد يوم، وتقوم الدشيشة أساسا على مكونات بسيطة ومتواجدة بمعظم البيوت الجزائرية، حيث تتشكل مكوناته من القمح أو الشعير مدشش أي المرحي خشن، واللحم والشحم، بالإضافة إلى بعض الطماطم والفلفل الحار

وعادة ما تكون أماكن الطهي قرب العيون خاصة المباركة منها، أو جنب الوادي، أو جنب أحد مزارات الأولياء الصالحين بالمنطقة، حتى تحصل البركة ويستجيب الله سبحانه وتعالى وبمجرد إنهاء هذا الطقس، يشرع المطر في النزول بغزارة وتجري الوديان وتمتلئ السدود، فيستبشر أهالي المنطقة بهذا الغيث، وتوزع أكلة الدشيشة على أهل المنطقة، وعلى عابري السبيل أيضا¹.

لكن الاسلام صحح هذه العقائد الوثنية، وذلك بأداء المسلمين لصلاة الاستسقاء طلبا لنزول الغيث.

4. الاعتقادات السائدة عند المجتمع الغرداوي في التشافي من الأمراض الروحية باستعمال الماء:

هناك العديد من الاعتقادات السائدة في منطقة غرداية في استعمال الماء نحاول التطرق إلى البعض منها على سبيل المثال لا الحصر، منها:

1.4. العلاج بملاعق العشاء:

تستعمل هذه العملية لعلاج الرضع كثيري البكاء، وهذه الظاهرة تمارس بعد حلول الظلام، أي بين صلاتي المغرب والعشاء، لذلك سميت بمغارف العشاء، حيث كانوا قديما يعالجون بما تبقى من الجمر الذي طهوا عليه العشاء، أما مؤخرا فالكيفية التي تُحضّر بها غدت كما يلي: يُجمع الحطب الخاص بهذه الظاهرة من النوع الجيد المدعو بـ "العَمري" لكي لا يختنق الرضيع، ويتم إشعال النار، وبعد تحطم الحطب وتشكل الجمر، تأخذ بالرضيع كثير البكاء امرأة مسنة مختصة في هذا الأمر وتحمل فوق رأسه أو بجانبه إناء به ماء، ثم تسكب في الإناء سبع ملاعق كبيرة من الجمر الذي تم تحضيره، وبعد الانتهاء من هذه العملية يُأخذ الإناء ليتم صبه في مفترق الطرق، لكي يأخذ المارة البأس في أرجلهم، فيُشفى الولد من بُكائه المستمر الذي تسببت فيه العين حسب اعتقادهم، وشرط الشفاء دفع مقابل لهذه العجوز، أيا كان

والهرماس والفلول اليابس، بالإضافة إلى تشكيلة التوابل التي تعطيه مذاقا فريدا، كما يستوجب تزيينه بقليل من السمن البلدي (دهان العرب) ويلعب مظهر الطبق دورا أساسيا في التعبير عن امتزاج مكوناته البسيطة والمعبرة بثقافة أهل المنطقة. ينظر: المخبرة بحیصة فاطمة (70 عاما)، على الساعة 5 مساء يوم 20 مارس 2020. متليلى الشعانبة.

¹ - المخبرة أم الخير بوقانون (72)، على الساعة 5 مساء يوم 10 فيفري 2017، غرداية.

نوعه، نقودا أو شيئا ماديا كالسكر أو الحناء، وحسب معتقداتهم يقولون: "دواء بدون صرة حجرة معلقة"¹.

2.4. علاج "المشاهرة":

من عادات الولادة الخوف من الحسد، وهذا ما يجعل الكثير من السيدات يخفين جنس المولود إلا عن الأقربين، أو يتعمدن إبقاءه أصلعا حتى بعد انتهاء العقيقة²، ولعدة أشهر، أو يخفى عن الأعين بالتظاهر أنه نائم دوما إلى أن يكبر، خاصة إن كان مولودا جميلا، على عكس الرضيع الهزيل.

وتعني "المشاهرة" عند أهالي المنطقة أن تلد سيدتان من بيتين مختلفين وتدخل إحداها في نفس الشهر أي قبل الأربعينية على الثانية وترى رضيعها والأخرى لم تبادلها الفعل نفسه. فإذا انقلبت حالة الرضيع بعد هذه النظرة وساءت حاله، فيعرف بأنه ولد مُشاهر، ويتم علاجه من طرف عجوز مختصة في هذه القضايا بالطريقة التالية:

يتم إحضار جريدة من النخلة تكون أوراقها خضراء، ثم يُنزع سعفها كاملا، وتغسل الجريدة وتحنط كالمت ثم تلف في قماش أبيض كالكفن وتوضع جنب الرضيع المريض وحتى الهزيل، وإن لم تثبت عليه المشاهرة، وتُبيت بجانبه طوال الليل، وفي الصباح يحملها أي شخص بشرط ألا ينطق ببنت شفة

¹ - المخبرة بيثي فاطنة (69 سنة) ، مختصة في "مغارف العشاء"، على الساعة 11 ليلا، يوم 1 فيفري 2017. ثنية المخزن، غرداية.

² - العقيقة: تطلق العقيقة في اللغة على الخرزة الحمراء من الأحجار الكريمة، وقد تكون صفراء أو بيضاء، وعلى شعر كل مولود من الناس والبهائم ينبت وهو في بطن أمه، وعلى الذبيحة التي تذبح عن المولود عند حلق شعره. ويقال: عق فلان يعق بضم العين أيضا: حلق عقيقة مولوده، وعن فلان عن مولوده يعق بضم العين أيضا: ذبح عنه. والعقيقة في الاصطلاح: ما يذكر عن المولود شكراً لله تعالى بنية وشرائط مخصوصة، وكره بعض الشافعية تسميتها عقيقة وقالوا يستحب تسميتها نسيكة أو ذبيحة. ينظر: الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ج30، ط1، مطابع دار الصفوة للطباعة والنشر والتوزيع، الكويت، 1414هـ/1994م، ص276.

قبل أن يحملها حتى يرميها ببئر بها ماء لكنها غير مستعملة، وهم يعتقدون أن الرضيع سيستعيد صحته وعافيته، كلما روت تلك الجريدة من ماء البئر الذي استقرت بقاعه¹.

وهناك طريقة أخرى لعلاج الرضيع الهزيل، وهي وضع صرة بها فول يابس وتُبَيَّت بجانب الرضيع، أو تحت رأسه، أويفترش الرضيع الفول، وفي الصباح تُحمل الصرة وترمى في بئر بها ماء لكنها غير مستعملة، واعتقادهم في ذلك أنه كلما زاد حجم الفول في البئر، تحسن الرضيع وتمالك صحته وعافيته وزاد وزنه².

إلا أن الواجب هو الاعتقاد أن النفع والضرر من الله، ولا نتطير، فقد قال النبي عليه السلام: "ليس منا من تطير أو تطير له".

3.4. تحصين المرأة النفساء :

يعتقد المجتمع النسوي بمنطقة غرداية أن تحصين المرأة النفساء ضرورة، وذلك أنه حسب نظرهم تكون في ضيافة الآخرين (عالم الجن) وأنها معرضة لجميع الأمراض، وأي مرض يرجعونه إلى الأربينية فإن اجتازتها بسلام تخطت جسر رياح النفساء، ومن لا تريد الوقوع في رياح النفساء وحسد الأحباب والأقارب مع مولودها، عليها القيام بتحضير أربعين حجرا من (الشب) ، و كل ليلة تقوم النفساء بمسك حجرة واحدة من الشب تسبّعها³ على نفسها وعلى مولودها ، وتبيّتها بينها وبينه، وكل صباح تضعها في علبة خاصة، وهكذا دواليك إلى أن تتم أربعون يوما، ثم تقوم بإخراجها من العلبة كاملة وتقوم بإذابتها وصيها على الماء، وترمي هذا الماء في طريق المارة لكي يأخذ البأس في أرجلهم .

¹ -المخبرة لخنين خضرة (70 سنة)، مختصة في التداوي بالأعشاب، على الساعة 10 ليلا يوم 5 سبتمبر 2023، ثنية المخزن، غرداية.

² -نفسه

³ - التسيبع من فعل سبّع: أسبّع يُسبّع ، إسباعاً، فهو مُسبّع، والمفعول مُسَبَّع (للمتعدي). أسبّع القوم: صاروا سَبْعَةً. أسبعتِ الحامل: ولدت في الشهر السابع من حملها. أسبّع الطريق أو المكان: كثرت به السباع. أسبّع الشّيء: صيّرهُ سَبْعَةً "أسبّع الشكل: صيّرهُ ذا سبعة أركان". وفي الاصطلاح: نجد العدد سبعة في الحكايات الشعبية للمنطقة، يتكرر أكثر من أي عدد آخر فهذا العدد يملك دلالات كثيرة في الحياة الاجتماعية وفي الكون والقرآن والسنة النبوية، لذلك فقد انعكس ذلك انعكاساً واضحاً على الحكايات الشعبية. ينظر: أحمد التجاني سي كبير، أنثروبولوجيا النظام العددي في خطاب الحكايات الشعبية العجيبة، مجلة أنثروبولوجيا، مجلد 7، ع: 1، 2021، ص 22.

4.4. العلاج بتسبيغ الملح على الطفل المصاب بالعين:

عندما يلاحظ أهل الطفل عليه تغييراً، أو بكاء بدون سبب، فيُعززون ذلك للعين والحسد، خاصة في حالة زارهم شخص حاسد، فتقوم أم الطفل، وفي الغالب جدته بمسك كمشة من الملح في يدها وتقوم بحركة دائرية حول الطفل وهي تسمي وتتعوذ بالله وتكرر ذلك في كل مرة حتى تصل للسابعة. وتفعل ذلك لكل من حول الطفل اعتقاداً بأن هذا الأمر يمنع الشر والحسد، ثم تضع يدها المليئة بالملح تحت صنوبر الماء، وتفتحه، وتردد عبارة "العين أنتج العين"، والمقصود بذلك أن الماء المنساب من الحنفية على الملح يذوّبه، وبالتالي تختفي آثار الحسد¹.

5.4. العلاج بالرصاص²، أو ما يسمى بالعامية "الخفيف":

1.5.4. ما هو هذا المعدن: يصنّف الرصاص ضمن العناصر الكيميائية الفلزية، ويرمز له كيميائياً بالرمز Pb، ويمتاز بأنّه من الفلزّات الثقيلة السامة، يمكن العثور عليه في الطبيعة على هيئة مركّب كبريتيد الرصاص PbS، وله عدد ذريّ في الجدول الدوريّ هو 82. يتخذ عنصر الرصاص لوناً رمادياً مائلاً إلى الأزرق، وتُعتبر درجة الحرارة التي ينصهر عندها معدن الرصاص خاصيّة يمتاز بها عن سائر المعادن؛ حيث إنّ درجة انصهاره هي 327.5 (°C)، بينما تقدّر درجة غليانه بحوالي 1750 (°C).

2.5.4. العلاج بالخفيف (عند عامية الناس القدامى): كان أهالي المنطقة يستعملون الخفيف (اللدون) من أجل التحصين من العين والسحر وتحصين العروس قبل زفافها، حيث لا يخلو بيت من إناء نحاسي غالباً ما يكون المهراس، ويحضرون رطلاً من المعدن يضعونه على النار رفقة عشبة العرعار والشمع الحر أو شحم الجدي، وعندما ينصهر يُصب المعدن في الإناء النحاسي الذي يحتوي على الماء، بعد أن قاموا بتسبيغه على الشخص المراد تحصينه أو علاجه، فيضرب على ضربة واحدة يوم السبت، وضربتين يوم

¹ - المخبرة لخنين خضرة: 70 سنة مختصة في التداوي بالأعشاب، على الساعة 10 ليلاً يوم 5 سبتمبر 2023، ثنية المخزن، غرداية.

² - يصنّف الرصاص ضمن العناصر الكيميائية الفلزية، ويرمز له كيميائياً بالرمز Pb، ويمتاز بأنّه من الفلزّات الثقيلة السامة، يمكن العثور عليه في الطبيعة على هيئة مركّب كبريتيد الرصاص PbS، وله عدد ذريّ في الجدول الدوريّ هو 82. يتخذ عنصر الرصاص لوناً رمادياً مائلاً إلى الأزرق، وتُعتبر درجة الحرارة التي ينصهر عندها معدن الرصاص خاصيّة يمتاز بها عن سائر المعادن؛ حيث إنّ درجة انصهاره هي 327.5 (°C)، بينما تقدّر درجة غليانه بحوالي 1750 (°C).

الأحد، وثلاثة يوم الاثنين، وأربعة يوم الثلاثاء، وخمسة يوم الأربعاء، وستة يوم الخميس، وسبعة يوم الجمعة، ذلك شرط أن يكون وقت ضرب الخفيف في جميع الأيام بعد صلاة الفجر مباشرة، وتُبيت الخفيف كل ليلة في النجوم ثم يدخلونه فجرا ليقوموا بالعلاج، ويستعمل في تحصين العروس من العين أو العريس قبل الزفاف خوفاً من أي حسد، سواء كان حسد الأقارب أو الجيران أو الأصحاب أو حتى من حسد أهل العريس أو العروسة، حسب اعتقادهم.

أما السر في ضرب الخفيف في إناء نحاسي؟ فأوردت الخالة وبرة: "أنهم وجدوا أهاليهم يستعملونه بهذه الطريقة، وذلك لأن النحاس ينزع النحس في نظرهم، ولأن المريض بالعين والسحر يمكن أن يُصَفَّى من المرض كما يمسح النحاس ويعود له بريقه، والحكمة في العرعار أن المريض يتخلص من المرض، وتخضر عروقه ويمر فيها الدم ويشد عوده وعظمه، ويقف عالياً مثل ما يقف العرعار البري شامخاً، أما الشمع فيستعمل لتحسين العروس حتى تبقى العروس منيرة مضيئة كالشمعة بعد علاجها، وبالنسبة للشحم فهو دلالة على تشحّم وتلحم المريض من جديد كما يُشحّم ويلحّم الجدي الصغير فيربي الشحم واللحم، وتقول في الغالب حسب رأي أجدادهم أن العلاج بالخفيف ليس محرماً إلا إذا فسر، وفي بعض تفسيراته تقول:

إذا شكل الخفيف بشكل المسامير فإن هناك ألسنة الحاسدين تتكلم عن المريض، وإذا تشكل مسمار وفوقه صرة فإن هناك سحر، وإذا كانت الصرة مربوطة فإن السحر مازال موجوداً ومعلقاً، وإذا فتحت الصرة بعد ضرب الخفيف فإن المريض سوف يعالج وتنزع الصرة.

وإذا كان في الخفيف جزء صافي وجزء متسخ حسب رأيها أن الظاهر في ذلك طريق للعلاج وإذا كان متسخاً فإن المريض مازال يعاني من السحر أو العين، وقبل أي استعمال الخفيف، عليهم أن يُبيتوه تحت رأس المريض، كما أنه في غياب المريض يجب إحضار أحد ملابسه ويوضع تحت الإناء أثناء القيام بعملية العلاج، ومن الأفضل أن يتم ضرب الخفيف على العتبة التي يدخل منها المريض إلى البيت، ثم يُرمى الماء في المجاري الأربعة للطرق أي عند تقاطع الطرق حتى يشفى المريض ويعافى، وإذا لم يكن هناك طريق متقاطع في النواحي، يُصب في سواقي المياه في الغابات المنسية على حد قولها، أو في الشعاب، أو الوديان.

ولما طلبنا تفسيراً وتوضيحاً لظاهرة ترسب التراب بعد إذابة المعدن، أو اسوداد لونه بفعل درجة الحرارة، أو أخذه لأوجه مختلفة نتيجة انصهاره، قالت أن ترسب التراب دلالة على وجود السحر بالتراب إما مدفوناً أو مرشوشاً. أما أخذه لألوان مختلفة، يعني أن المريض يتلون جسده كما يتلون لون الخفيف، وبالتالي فإنه مازال مصاباً، وذلك بقولها: "لماذا لا يأخذ الخفيف لونا واحداً لما يصفى، ويبقى جزء منه صافي في آخر المطاف، ولماذا الخفيف حتى وإن حافظت على درجة حرارته كما تزعمون يتشتت ويتطاير بعد صبه في الماء، وتشتت وتطاير دلالة على وجود عين حاسد، ولا نقاش في ذلك، والله أعلى وأعلم، وتبقى

ظاهرة العلاج بالخفيف موجودة إلى يومنا هذا سواء في فك السحر أو الربط أو تحصين العروس قبل زفافها، وهي ظاهرة متغيرة في الأخذ بها بناء على خصوصية المجتمع وأبعاد الاستعمال ومتغيرات الزمن والمكان، وإيماننا بأن الظاهرة الاجتماعية سواء كانت مقدسة أو مدنسة من حيث الطقوس فإنها بمجتمعنا الجنوبي تأخذ زوايا مختلفة. أما العلاج الثاني فتقول عنه الخالة وبرة: أن العلاج بالخفيف للمريض الذي طال مرضه، فإنه من الأحسن أن يوضع بوله في إناء نحاسي ويضرب فيه الخفيف، لأن البول يُظهر صفاء الدم ونقاءه حتى في التحاليل الطبية اليوم¹.

5. التبرك بمياه الآبار والحنفيات:

1.5. عند أهالي المنطقة:

كان الناس يقصدون المنابع الطبيعية المتواجدة قرب الأضرحة ومزارات الأولياء الصالحين قصد الاستحمام بمائها أو الشرب منه أو ملئه في أقيمتهم تبركا بها وبمكانها، أو طلبا للاستشفاء من السحر أو طلبا لتسهيل أي أمور مستعصية، ذلك أنهم كانوا يرون فيها قوى خفية مؤثرة، وربما هذا يفسر حرصهم على ما أسلفنا تبركا ودرء لشر هذه الكائنات.. وكمثال حي على ذلك البئر التي حفرت بجانب زاوية سيدي عبد القادر بن محمد بن سليمان السماحي البكري مؤسس الطريقة الشيخية²، والزاوية موجودة حاليا بشعبة سيدي الشيخ بمتليي الشعانية، أين تقام الولائم والأعراس الجماعية، وكل عرسان منطقة متليي يزورون هذه المقام للتبرك بهذا الولي الصالح، والشرب من بئره.

2.5. عند يهود غرداية:

¹ - المخبرة الخالة عائشة الملقبة بالوبرة (75 سنة)، يوم 25 فيفري 2017م على الساعة 17:40، بمدينة متليي الشعانية.

² - سيدي عبد القادر بن محمد بن سليمان السماحي البكري: المعروف بسيدي الشيخ، ينتسب سيدي عبد القادر من جهة أبيه إلى الخليفة أبي بكر الصديق، ولد بالشلالة الظهرانية وعاش بين سنتي (940هـ/1533م) و(1024هـ/1615م). ينظر: أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998م، ج4، ص 104.

من بين المظاهر التي سجلت عند يهود المنطقة أن المرأة في الثقافة اليهودية، تقصد يوم زفافها حوض المكوي¹، بغرض الاستحمام فيه وفق طقوس معينة، كما أنها لا تستحم خلال غياب زوجها ولا تغير ملابسها، واحتفالاً بعودته تستحم أيضاً باغتسال شعائري في حوض المكوي، وقد أورد هوجت (Huguet) بأن عروساً من يهود الجلفة، عقد قرانها على رجل يهودي من غرداية، فرفضت الزواج على الاستحمام فيه لفظارته².

6. الخاتمة :

خلصت هذه الورقة البحثية إلى جملة من النتائج، والتي يمكن حصرها فيما يلي :

- أن الماء مادة الحياة وله مكانة مقدسة استمدتها من آيات الشرع الحكيم .
- يحتل الماء في ذهنية ساكني غرداية مكاناً متميزاً، حيث ركزت حوله العديد من الطقوس التي سعت لجعل هذا العنصر الحيوي أكثر ثراءً حتى يساهم في خصوبة الأرض والإنسان معا .
- حظي الماء بطابع خاص في المعتقد الموروث من خلال بعض العادات والتقاليد والحكم والأمثال ...الخ، وعلى الرغم من أن أجدادنا قد تناولوا هذا الموروث عن جهل، إلا أن هذا التجاهل لا يمكن تغافله لأنه موروث اجتماعي.
- يستمد موضوع الماء في المعتقد الموروثي بمنطقة غرداية أهمية كبيرة كونه يدخل ضمن مجال المعتقدات الشعبية الغرداوية التي تقتضي محاولة البحث و التفسير. لحمله دلالات ومعاني تعكس تراتبا ثقافيا وعمقا تاريخيا ضاربا في القدم.

¹ - المكوي: بالعبرية مكوة، وهو عبارة عن حمام موجود في أحد البيوت اليهودية، في وسط غرفة ضمن الطابق الأرضي، وهو عبارة عن حوض مربع طول ضلعه مترين وعمقه متر واحد، وهو مبني من الإسمنت، يغير مائه كل ستة أشهر، حيث تغطس فيه مائتي (200) امرأة شهرياً، مما يخلف في قعره ردة سمكة (طبقة أوحال)، حتى أن أحد المذابيح يدعى صالح بن السعيد، لقي حتفه أثناء تنظيفه لهذا الحمام ، بفعل الغازات السامة التي تنبعث من طبقة الأوحال. كان ذلك في 3 سبتمبر 1888، ينظر: رحيمة بيثي، جميلة ثابت، يهود منطقة وادي ميزاب خلال القرن الثالث عشر هجري/التاسع عشر ميلادي، ط1، دار صبحي للطباعة والنشر، متليلي، غرداية ، 2014م، ص 84.

² - Huguet(j), **Les juifs du M'zab**, (Extrait du Bulletins et Mémoires de la Société d'Anthropologie de Paris), école de médecine, Paris, 1902, p12.

-استعمل الماء كعنصر مقدس في عادات وتقاليد ساكني غرداية ومنها عادة المشاهدة والعلاجات الجسدية وعروس المطر قنجة...الخ. ومنه فالماء عنصر لا غنى عنه في المعتقد والموروث الغرداوي ولا زال ذلك معمولاً به ليومنا هذا.